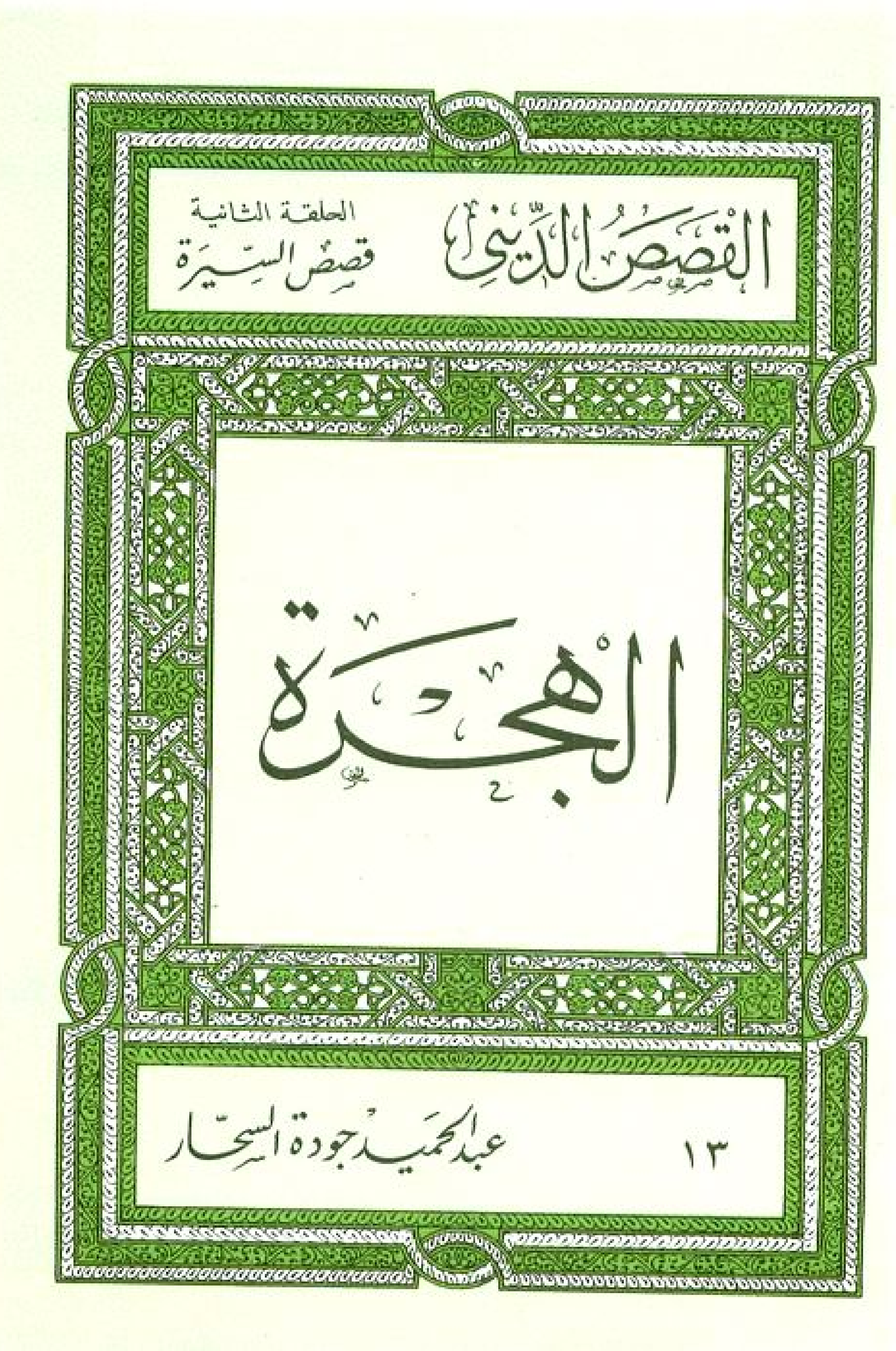


القصص الديني
الحلقة الثانية
قصص السيرة
الهجرة
عبد الحميد جودة السحار
١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّه إذْ أَخْرَجَهُ الّذِينَ كَفَرُوا ثَانِىَ اثْنَيْنِ إذْ هُمَا فى الغَار ، إذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إنَّ اللّه مَعَنَا ﴾ .

(قرآن كريم)

١

أخَذَ رسولُ اللّه ﷺ يمُرُّ علــى قَبــائِلِ العَــرَبِ يدعوهُم إلى الإسلام .

قال لإحدَى القبائِل :

ـ إنّي رسولُ اللّهِ إلَيكُم ، آمُرُكمْ أن تَعْبُدُوا اللّه ، ولا تُشرِكُوا به شيئا .

فَصاحَ أَبو لَهَب ، وكان رجُلا أحْوَلَ له غَدِيرَتان :

ـ إنّه كاذب ، لا تُصَدِّقُوه .

فسارَ رسولُ اللّه حتــى بَلَـغَ قبيلـةً أخرَى ، وراح يقول :

ـ يا أيُّها الناس ، قولوا لا إله إلاّ اللّه تُفْلِحُوا .

فراحَ أبو لَهَبٍ يُلقِي عليه التُّراب ، ويقول :

ـ لا تُصَدِّقُوه ، فإنّمـا يُريـدُ أن تـتركُوا عبـادةَ آلهتِكم .

واستمرَّ رسُولُ اللّه ﷺ يمرُّ على القبائل ، يعـرِضُ عليهم الإسلامَ ، وأنْ يمنعُوا عنه القتـلَ ، حتى يُبلِّـغ رِسالاتِ ربّه ، ولكنّ القبائِلُ أعرضُوا عنه وقالوا :

ـ لو كان فيه خَيرٌ ما تَرَكهُ قومُه .

٢

العربُ في يَثْرِبَ (المدينة) قبيلتـان : همـا الأَوسُ والخزْرَج ؛ كانوا يَعْبُدُونَ الأَصنامَ ، وكـان جيرانُهم اليهودُ يعبُدونَ اللّه . وكـان اليهـودُ قِلّـة ، فكـان إذا شَبَّ بين العربِ واليهودِ قتال ، قال اليهودُ للعرَب :

ـ إنّ نَبِيًّا الآنَ قد أظَـلَّ زمانُـه ، نَتْبَعُـهُ وننتَصـرُ بـه عليكم .

كان عربُ يثرِبَ يسمَعُونَ ذلك من اليهود ، فيَعْلَمُونَ أنّ اللّهَ سيُرسِلُ رسولاً لِهدايةِ الناس .

وحَدَث في مُوسِمِ الحجّ ، أن خرَجَ بعضُ عربِ يَثْرِبَ إلى مكّة ، فلمّا قابَلهم رسولُ اللّه ، قال لهم :

ـ من أنتم ؟

قالوا :

ـ نَفَرٌ من الخَزْرَج .

قال :

ـ أمِنْ مَوالِي يَهُود ؟

قالوا :

ـ نعم .

قال :

— أفَلا تَجْلِسُونَ أُكَلِّمكم ؟

فَجَلَسُوا معه ، فَدَعاهُم إلى اللّه ، وعَـرَض عليهـم الإِسلام ، وتلا عليهمُ القرآن . فقال بعضُهم لِبَعض :

— يا قَوم ، تَعلَمُونَ واللّه أنّه النّبِيُّ الـذى تَوَعَّدَكـم به اليهود ، فلا يَسْبِقُنّكم إليه .

وأسلَمُوا ؛ وواعَدُوه على اللّقاء فى العام القادم .

٣

عادَ الرِّجالُ إلى يَثْرِبَ بعدَ أن قـابَلُوا محمَّـدًا ﷺ ، وأعلَنُوا إسلامَهم ، ودَعَوا أهْلَهُم إلى الإِسلامِ ، حتى فَشَا فيهم وانتَشرَ ، ولَم تَبْقَ دارٌ من دُورِ العـربِ فى يـثرِبَ ؛ إلاّ وفيها ذِكْـرُ رسـولِ اللّـه ﷺ ، ومَـرَّ الزمَنُ ، وجاءَ أوانُ الحَجِّ ، فخَـرجَ اثنـا عَشَرَ رجُلاً

من أشْرافِهم إلى مكّةَ ، وقابَلُوا رسولَ اللّه ، وبايَعُوه على ألاَّ يُشْرِكُوا باللّه شيئا ، ولا يَسْرِقُوا ، ولا يَزْنُوا ، ولا يَقْتُلُوا أولادَهم .

وانْصَرَفَ الرِّجالُ بعدَ الحَجِّ إلى يثرِب ، فأرسَلَ رسولُ اللّه معهم مُصْعَبَ بن عُمَير ، لِيُعَلِّمَهُم الإسلام ، وقِراءَةَ القرآن ، وأمْرَ دينِهم .

٤

ومرَّتْ سنةٌ ، وجاءَ أوانُ الحَجِّ . فخَرَجَ المسلمون من يثرِبَ إلى مكةَ للحَجّ ، وواعَدُوا رسولَ اللّه أن يُقابِلُوه فى اللّيل ، إذا فَرَغَ الحجّ . فلمّا هَدأَتِ الرِّجْل ، خرج الرَّجُلُ والرَّجُلانِ إلى حيثُ واعَدُوا رسولَ اللّه ، حتّى أصبَحُوا سبعِينَ رجُلا . وجاءَهم

رسولُ اللّه ومعه عمُّه العبّاس بنُ عبدِ المُطّلِب ، فقال العباس :

ـ إنّ محمّدًا منّا حيثُ قد علِمتم ، فهو فى عِزّةٍ فى قَوْمِه ، وإنّه قدْ أبَى إلاّ الانْحِيازَ إليكم ، واللّحُوقَ بكم ، فإنْ كنتُم تَرَونَ أنّكم مانِعُوه مِّمَن خالَفَه ، فأنتم وما تحمّلْتُم من ذلك . وإن كنتُم تَرَونَ أنّكم مُسلِمُوهُ وخاذِلُوه بعدَ الخُروجِ إليكم . فمِنَ الآنَ فَدَعُوه .

قالوا : قدْ سمِعنا ما قُلتَ فتكلّم يا رسولَ اللّه ، فخُذْ لِنفسِك ولربِّك ما أحببت .

فقال رسولُ اللّه :

ـ أُبايِعُكم على أن تمنَعُونِى مما تمنَعونَ منه نساءَكم وأبناءَكم .

وبَسَطَ رسولُ اللّه يدَه ، وبايعَـه الأنصـارُ علـى أن يَمنَعُوه ويَحمُوه إذا هاجَرَ إليهم .

٥

وانتشرَ الإِسلامُ فى يثرِب . حين كـان الاضطهـادُ مستمِرًّا فى مكة ؛ كـانت قُريشٌ تؤذى المسلمين ، فجمعَ رسولُ اللّه من آمَنوا به وصَدَّقُوه ، وقال لهم :

ــ إنَّ اللّه قدْ جعَلَ لكم إخوانا ، ودارًا تَأمَنونَ بها .

وأمَـرَ أصحَابَـه بـالخُروجِ إلى يـثرِب ، فراحُــوا يخرُجُونَ من بِلادِهم ، فِرارًا بدينِهم . وانتظَرَ رسـولُ اللّه إذْنَ اللّه له بالهجرة ؛ وجاءَ أبو بكرٍ يطلـبُ منـه الإِذنَ ليُهاجِر .

ـ لا تَعجَل ، لعلَّ اللّه يجعَل لـك صاحِبا . هـاجَرَ المسلمون ولم يبق إلا محمدٌ ﷺ ، وأبو بكر ، وعلـىُّ ابنُ أبـى طـالب ، والمسـتَضْعَفُونَ الذيـن حبَسَـهم سادتُهم عن الهجرة . وعَلِـمَ سـاداتُ قُريـشٍ بهجـرَة أصحابِ محمد ، فاغتاظُوا ، وخافوا أن يخـرُجَ محمـدٌ ﷺ وسـلَّم إلى أصحابـه ، حتـى إذا قَـوِىَ جـاءَ يحاربهم ؛ لذلك قَرَّروا فيما بينهمِ أن يأخُذوا من كـل قبيلةٍ فتى شابًّا ، ثم يُعطُوا كلَّ فتًى منهـم سيفا ؛ ثـم يذهبوا إليه ويضربوه بسـيفهم ضَرْبَـة رجُـلٍ واحـد ، فيقتلوه ، وبذلك يتفرَّقَ دمُـه فـى القبـائل ؛ لأنَّـه إذا قتلَه رجل واحد ، قام بنو عبد مناف ، أهـل محمـد ، لحربِ قبيلة القاتل ، فقد كـان مـن عـادة العربِ أن يثأرُوا للمقتول ، من كلا القاتل وقبيلته .

واتفقوا على أن يقتُلوا رسولَ اللّه هذه اللّيلة ، ولكنَّ اللّه لم يترُكْ رسولَه ، فقد أرسَلَ إليه جبرِيلَ يقولُ له :

- لا تَبِتْ هذه الليلة على فِراشِك الذى كنت تَبيتُ عليه .

وجاءَ الليلُ وجاءَ أبو جَهلٍ ومَن اتّفقَ معه على قَتْلِ رسولِ اللّه ، فلمّا أحسَّ رسولُ اللّه ﷺ بهم ، قال لعلِيّ :

- نم فى فِراشى ، فإنّه لن يَخْلُصَ إليك شىءٌ تكرهُه منهم .

ونام علىٌّ فى فراش النبىّ ، وراحَ ساداتُ قُريشٍ ينظرون ، فيَرونَ عليًّا فى الفِراش ، فيحسبون أنَّ رسول اللّه نائم .

وفُتحَ الباب ، وخرجَ رسول اللّه ، وقد أعْمَى اللّه عنه أعداءَه ، فراحَ رسـولُ اللّـه يضـعُ التُّرابَ علـى رءُوسِهم ، وانصرَفَ إلى بيتِ أبى بكر . وجاءَ رجلٌ ونظَرَ إلى الرِّجال الذيـن جاءُوا لقتـلِ رسـولِ اللّـه ، وقال لهم :

ـ ما تنتظِرونَ ها هنا ؟

قالوا : محمَّدًا .

ـ خَيَّبكم اللّه ! قد واللّه خرَجَ محمد ، ثم ما تـركَ منكم رجُلا إلا وقد وضعَ على رأسِه ترابا ، وذهـبَ لحاجتِه ، أفَما ترونَ ما بكم ؟

فوضَعَ كلُّ رجلٍ منهم يدَه على رأسِه ، فإذا عليـه تُراب ، ونظرُوا فرأَوا عليًّا فى الفِراش ، فقالوا :

ـ واللّه إن هذا لمحَمَّدٌ نائما .

وظَلُّوا حتى أصبَحَ الصباح ، فخرج إليهم عليّ ، فاغتاظُوا ، وذهبُوا يبحَثُونَ عن رسُولِ اللّه .

٦

خرجَ رسولُ اللّه ﷺ ، ومعه أبو بكرٍ الصّدِّيق مهاجِرَينِ إلى يثرِب ؛ وقَبْلَ أن يخرُجا أمَرَ أبو بكرٍ ابنَه عبدَ اللّه أن يتَسمّعَ لهما ما يقولُ النّاسُ فيهما نهارا ، ثم يأتِيهِما إذا أمسىَ بما يكون من الناس فى ذلك اليومِ من الخَبَر ، وأمر خادِمَه أن يرعَى غَنَمَه نهارا ، حتى إذا جاءَ اللّيلُ تركها عندَ غارٍ بجبلِ ثَور بأسفلَ مكة .

وذهب النّبِىُّ ﷺ ، وأبو بكرٍ الصّدِّيق إلى غارِ ثور ، واختبآ به ؛ فإذا جاءَ الليل ، أتَى إليهما عبدُ

اللّه بنُ أبى بكر ، يُخبرِهُما بما فَعَل الناسُ بعدَ اختِفائهما . وكانَ أبو بكرٍ يخرُجُ إلى الغَنَم التى تركها خادمُه ؛ يحلِبُها ويسقِى الرَّسُولَ لَبَنَها ، ثم يشربُ منها .

راحتْ قُريشٌ تبحَثُ عن النَّبىِّ وصاحِبه ، واقْتَفَوا أثَرَه : رأَوا آثارَ أقدامٍ ، فسارُوا فى اتّجاهِها ، حتى إذا بلَغُوا الغار ، رأَوا على بابِه نَسجَ العنكبوت ، فقالوا :

ـ لو دخَلَ ها هنا أحدٌ لم يكُن نَسج العَنكبوت على بابه .

وسمِعَ أبو بكر صوتَ الناس ، فقال هامسا :

ـ هؤلاء قومُك يطلبونَك .

فقال له النّبيُّ ﷺ : يا أبا بكـرٍ لا تخـف ؛ إنَّ اللّـه معنا .

ومَرَّت ثلاثـةُ أيّام ، ورسولُ اللّه وأبو بكـر فى الغار ، فلمَّا هَدَأ بحثُ النّاس عنهمـا ، ركِبَ رسولُ اللّه ناقة ، وركِـبَ أبو بكرٍ ناقـة ، وركـب الدَّليـلُ الذى استأجَراهُ ليذهَبَ بهما فى طريقٍ غيرِ معروف ، ناقة ، وساروا إلى يثرب .

٧

أعلَنَ أشرافُ قُريشٍ عن مكافَـأةٍ لمن يَقتُل محمَّدًا أو يأسِرُه ؛ وطمع سُراقَةُ بنُ مالِكٍ فى المُكافَـأة ، فرَكِبَ فَرَسَه ، وأخَذَ رُمْحَـه ، وراحَ يجرى فـى الطَّريق الذى سارَ فيه محمدٌ وأبو بكرٍ والدَّليل ، حتى إذا اقتَرَبَ منهم سقَطَ عن فَرَسِه ؛ فقامَ ورَكِبَها

وجَرَى خلفَهم ، ولكنْ غاصَتْ يدا فَرسِه فى الرِّمال حتى الرُّكبتين ، فَسَقَطَ عنها ، ثم عادَ إليها ، وركبها وجرى خلفَهم ، فسقط عنها ، فنادَى بالأمان ، وقَدْ وقَعَ فى نفسِه أن سيظْهَرُ أمرُ رسولِ اللّه ، ودنا من رسولِ اللّه ، وقال له :

ـ اكتُبْ لى كتاب أمان .

فأمَرَ الدَّليلَ أن يكتبَ ، وعادَ سُراقَة إلى مكة ، وكان كلَّما قابَلَ أحدًا يطلُب رسولَ اللّه ردَّه عنه . وسارَ رَسولُ اللّه ﷺ إلى يثرِب ، لينشرَ دينَ اللّه ، ويمكّنُ له فى الأرض .

﴿ يُريدونَ أن يُطْفِئوا نُورَ اللّه بأفواهِهِم ، ويأبَى اللّه إلاَّ أن يُتِمَّ نورَه ولو كَرِهَ الكافِرون ﴾ .